مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الخامس والعشرون– ايلول ٢٠٢٣–صفر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

# ظلال المعاني في ديوان وليد الأعظمي
# (دراسة أسلوبية)

**المشرف الدكتورة نينا أيوب**
**الباحث ليث خشان جميل**

الملخص
يقوم البحث على بيان المعاني المتولدة من بعض أقسام البيان وتفريعات المعاني المختلفة، ليتسنى الغوص في أعماق النص، واستخراج خصائصه ومكنونه اللغوي، وإماطة اللثام عما تضمره، ومشاهدة الصور التي رُسِمَت بواسطة تلك الظلال، وقد اعتمدنا الانتقاء في هذه الدراسة؛ لبيان أكثر الشواهد تمثيلًا لظلال المعنى، وقد تألف البحث من جانبين، تنظيريي يُظهر المدلول اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الظلال، فضلًا عما بينته من المصطلحات المماثلة أو المرادفة، أو المقابلة، القديمة والحديثة، ليسنى معرفة المفهوم المقصود والإحاطة به، وخصص الجانب الثاني للدراسة التطبيقية، اخترنا فيه بعض الشواهد مما يعضد فكرة البحث، واختتم البحث بأبرز ما توصل إليه، مستندين غلى المنهج الوصفي التحليلي.

Summary
The research is based on an explanation of the meanings generated from some sections of the statement and the different branches of meanings, in order to be able to dive into the depths of the text, extract its characteristics and linguistic components, reveal what it contains, and see the images that were drawn by those shadows. We have adopted selection in this study; In order to show the evidence that most represents shades of meaning, the research consisted of two sides, theorizing that shows the linguistic and idiomatic meaning of the concept of shadows, as well as what I showed of similar or synonymous terms, or corresponding, ancient and modern, in order to be able to know the intended concept and take note of it, and devoted the second side to applied study, we chose There are some evidences that support the idea of the research, and the research concluded with the most prominent findings, based on the descriptive analytical approach.

المقدمة:
الديوان الذي بين أيدينا من الدواوين المعدودة في الشعر العراقي في زمنه، وهو ديوان الشاعر وليد الأعظمي، سفر عظيم بما احتوى من قصائد في موضوعات متنوعة، لم تخلُ من الجرأة في بعضها، والتعبير عن الذات وما تراه في الواقع في بعضها الآخر.

تكون البحث من جانبين، في نهايتهما خاتمة، ومسرد بالمصادر والمراجع، وقد اعتنى الجانب الأول بالمهاد النظري، مبينًا فيه المفهوم اللغوي والاصطلاحي لظاهرة ظلال المعاني، وذكرت أيضًا – هنا

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الخامس والعشرون– ايلول ٢٠٢٣–صفر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

– المصطلحات المماثلة والمرادفة، والمقابلة أيضًا، القديم والحديث، أما الجانب الثاني فهو الجانب التطبيقي، واحتوت الخاتمة أبرز نتائج البحث، معتمدًا في كل ذلك على المنهج الوصفي التحليلي.

**التمهيد:**

لا ريب أن في كل نص يعرض على المتلقي رموزًا تدل على معان يبتغيها المؤلف أو المبدع، وهذه المعاني يتقدمها المعنى المعجمي، وهي الدلالة الأصلية للكلمة، ثم يتبع ذلك المعاني النحوية والصرفية والحرفية والمجازية والسياقية والدلالية، وهذه ليس بوسع ايٍّ كان الوصول غليها، فلا بد من كد الذهن وإعماله للوصول إليها، وهو أمر نسبي بين الأفراد.

وتحسن الإشارة إلى أن المعنى المعجمي هو الذي نستقيه من المعجمات المختلفة، ويمثل المعنى الأصلي للفظ الذي تواضعت عليه العرب، الذي سمي المعنى المركزي[١]، أو المعنى الأساس[٢]، أما المعاني الأخرى فهي التي تُستقى من النظم اللفظية والمعنوية للكلمة، وموقعها من تلك النظم[٣]، إذ تخضع الكلمة للعلاقات المعنوية والظروف الحالية والتعبيرية المحيطة بها، التي يأتلف بعضها مع بعض، لتبين المعنى الخاص لتلك الكلمة، الذي سمي بالمعنى الإضافي[٤]، أو الهامشي أو ظلال المعنى[٥]، وهذا الأخير هو مجال البحث.

**الجانب النظري**

مفهوم الظل لغة واصطلاحًا:

قبل البدء بالتعريف اللغوي لهذا اللفظ، يجب أن نتعرف المصطلحات المماثلة أو المرادفة، أو المقابلة له أيضاً، القديم منها والحديث.

**الظل،** هو : اسم، ومن مرادفاته، جناح ، حجر ، حضن ، حماية ، كنف، وهو مصطلح حديث العهد، وقد جيء به ليكون مرادفًا لمصطلح الغموض القديم العهد، ولعل سبب الإبدال يتمثل بالمحظور اللغوي؛ لأن الأول لا يناسب الكلام المقدس، المتمثل بالقرآن الكريم، أو الحديث الشريف، فضلًا عن المواعظ والحكم، أو الأدعية التي وردت عن النبي، فلا يمكن للباحث أو المفسر أن يقول إن في القرآن الكريم غموضًا، ولكن يمكن أن يقول فيه أو له ظل أو ظلال، وكان مصطلح الغموض القطب الذي تدور حوله رحى الأحداث العلاقات و والظروف الاجتماعية في جوهر المقال[٦].

**الغموض**: هو مزية من مزايا المبدع ، ولطيفة من لطائفه، ويقال للرجل الجيد الرأي قد أغمض النظر، وأغمض النظر إذا أحسن النظر، أو جاء برأي جيد، وأغمض في الرأي أصاب، ومسألة غامضة فيها نظر ودقة[٧].

و"حدد وليام إمبسون أنماط الغموض في سبعة أنواع: ثلاثة منها تتصل بالنص، وثلاثة أخرى تتصل بالمؤلف، والسابع يتصل بالعلاقة بين القارئ والنص"[٨]، ولا يسعنا التفصيل في هذه الأنواع؛ إلا أننا سنجمل القول فيما يختص به البحث، "النوع الأول منه، يتمثل في الاستعارات المعقدة، أو ما يوحيه الإيقاع أو الوزن من معان مختلفة ، والثاني يتمثل في وجود تركيب نحوي في النص يسمح بتعدد التأويلات. والثالث يقع حين يسمح النص بفهم معنيين مختلفين في آن واحد، ويتمثل في وجود بعض المفردات أو التراكيب ذات الصيغ العامة أو الدلالات المشتركة[٩]، وهي تمثل علم البلاغة بأركانه الثلاثة، وهذه الأنواع ماثلة في النص المختار، أما ما يقابل هذا المصطلح فهو الوضوح، وعليه تعد ظاهرة الوضوح والظلال في النص القرآني التي عبر المفسرون عن جزء منها بالمحكم والمتشابه إحدى سمات النص التي تبين تفاعل النص مع الواقع، وبعبارة أدق هي نتيجة مترتبة على نحو ضروري على حدوث فعل القراءة والتلقي، فحكم الوضوح أو الخفاء ناتج عن جدل في الواقع بين شيء مفهوم بدقة وآخر غير مفهوم[١٠].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الخامس والعشرون– ايلول ٢٠٢٣–صفر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

وقد ورد في القرآن الكريم ما يقر أن النص القرآني ليس كله بمستوى واحد، إذ يفهم من دون إعمال عقل، بل إن سمة الظلال وهي آلية متعلقة بكيان النص ذاته، فيقول تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [آل عمران: ٧].

الظل لغة:

هو: نقيض الضح، والظل يدعى ظلًّا من أول النهار إلى الزوال، ثم يدعى فيئًا بعد الزوال إلى الليل، وجمع الظل أظلال وظلال و ظلول، واستظل بالشجرة :استذرى بها[١١]، وفي التنزيل ورد لفظ "الظل" مفردًا وجمعًا، قال الله تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) [الرعد: ٣٥]، وقال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا) [الفرقان:٤٥]، وقال الله تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) [الرعد، آية :١٥].

وورد الظل بمعان متغايرة في الحديث النبوي الشريف، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : "سبعة يظلهم الله في ظل العرش ..."[١٢]، وفي موضع آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم: السلطان ظل الله في الأرض لأنه يدفع الأذى عن الناس كما يدفع الظل أذى حر الشمس"[١٣].

ونقل ابن منظور ما ورد في الشعر العربي، قال الشاعر :

فَلَا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحى تَسْتَطِيعُهُ ولا الفَيْءُ مِنْ بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ[١٤]

اللغة: كائن حي، ينمو، ويتطور وبعض منها كتب له الخلود، والآخر مات أو يموت: إذًا لها الحق بمشاركة الموجودات، بالسمات والصفات، فكما للأشياء ظلال، فلها ظل، وظلها هو ظل المعاني، للكلمات والمباني، ولكن لا يلحظ تلك الظلال إلا المتذوق، الحذق، وصاحب الخيال الواسع، لأن الخيال هو الذي يتلقى ظلال الألفاظ لكون الظل هو الذي يُلقى في الخيال؛ لأن ميزة التعبير الأدبي الراقي: هي الظلال التي يخلعها وراء المعاني، والإيقاع الذي يتسق مع هذه الظلال"[١٥].

من المسلم به أن اللغة هي عبارة عن نظام من العلامات المتواضع عليها، والتي تظهر بوساطتها التراكيب اللغوية، التي بها تُستبان ظلال الألفاظ، فتضمن من خلالها البقاء الأبدي، ومن مظاهر هذا البقاء هو القرآن الكريم الذي قضى الله تعالى له الحفظ، قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩].

وبواسطة استنطاق ظلال المعاني تتجدد الافكار وتتجلى المظاهر الخفية للنص، أو الخطاب، فهنا مكمن الإثارة الدائمة التي تحقق للخطاب القرآني إعجازه، ما جعل المفسرين لم يثبتوا على تفسير واحد وهم يجتهدون في تفسيره منذ أربعة عشر قرنًا، ومن جهة أخرى، تحقق هذه الظلال على مستوى القارئ الوعي بالبحث والاكتشاف على مستوى الألفاظ والتراكيب، فتخلق متعة في النفس وإقناعاً في العقل، وهذا ما أطلق عليه الدارسون "متعة الاستكشاف، أو متعة السعي إلى تحقيق الاغلاق بفك رموزه وأسراره"[١٦].

الظل اصطلاحًا:

هو "خرق قوانين السمات الدلالية، فخرج الاستعمال من معناه الأساسي (المعجمي) إلى معناه المجازي، فالاستعارة والمجاز يتحققان على هذا النحو؛ لأنهما يُخرجان الكلمة من معناها الأساسي إلى معناها المجازي، عن طريق خرق قوانين التتابع الأفقي العادية"[١٧].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الخامس والعشرون– ايلول ٢٠٢٣–صفر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

قال وليم رايت: "تنطوي الآلية الحقيقية للقراءة على الكشف في ( داخل) كل وحدة من وحدات النص عن خيوط المعنى التي تدعمها الشفرات المختلفة، ويفهم من الشفرة في هذا السياق أنها ليست بنية محددة من كشف اللغز، بل هي: منظور من أمثلة الاستشهاد، أو سراب من البنى، وتقع في صلب هذه العملية ظلال المعنى، ويشتق المرء ظل المعنى عن طريق إيجاد علاقة متبادلة بين معنى مدلول جديد وشكل ناتج من تفريغ دلالة سابقة، ولما كان ظل المعنى متأصلًا في الدلالة فهو يؤلف إحدى الطبقات في ورقة المعاني الفطرية الخاصة بذلك المعنى، وهو يحدد نقطة انطلاق الشفرة التي لا يعاد توليفها أبدًا، نطق الصوت الذي قد نسج في النص، ذلك فإن ظل المعنى ليس مجرد وظيفة تعاقب النص الذي ينطوي على المعنى الأولي، فحين نقرأ نكشف عن ظلال المعنى الذي تغدو من خلال استمراريته وتكراره ضمن القراءة دلالات يتطلب نا أن نشتق منها أمثلة أخرى لظلال المعاني[١٨].

ولذا لا تتحدد معاني الكلمات وقيمها بواسطة المعجم اللغوي المتجرد عن المعاني النفسية والعاطفية، "فمعاني الكلمات لا تتحدد فقط بالتعؤريف التجريدي الذي تحددها به القواميس إذ يحيط المعنى المنطقي لكل كلمة جو عاطفي، ينفذ فيها ويكسبها ألوانًا مؤقتة على حسب استعمالاتها، هي التي تكون قيمتها التعبيرية"[١٩].

نلحظ مما تقدم أن أن النص والخطاب يتضمن جملة من الكلمات والتراكيب، تتعاقب تلك الألفاظ والمباني بين الوضوح والغموض، هذا الغموض الذي ترعاه اللمسات البيانية المتنوعة، والتي تمثل صورة أخرى للمعنى تزيد من أثره في النفس، يمكن أن يُحَدَّ بعلمي البيان والمعاني، وما ينطوي تحتهما من أساليب.

**الجانب التطبيقي**

استنادًا إلى المهاد النظري السابق يمكن أن نقسم الشواهد المتعلقة بموضوع البحث بين علمي البيان والمعاني، والانطلاق منهما في الاختيار؛ ويفرض حجم البحث أن يعتمد على شواهد معدودة في كل باب من الأبواب المختارة، التي نبدؤها بعلم البيان وفروعه التشبيه والاستعارة والكناية.

أولًا: علم البيان.

لا يخفى أن علم البيان يرتكز على المجاز الذي ذُكِر سابقًا أنه وجه آخر لظلال المعاني، أو لنقل هو الوجه القريب من المتلقي، وإن اختلفت مدلولاته وتنوعت، وأركانه المعروفة المشهورة التشبيه والاستعارة والكناية.

١- التشبيه: احتل التشبيه مكانة رفيعة في ديوان الأعظمي، من حيث الكم والكيف، فكان أكثرها عددًا، وأولاها بالاهتمام، فلم يترك تقسيمًا من تقسيماته إلا بادر باستعماله في توضيح معانيه ورفدها بالظلال التي تحدث الأثر الأكبر في نفسه، ومن ذلك قوله:

خَلَت العصورُ وأنتَ فوقَ جبينِها تاجٌ بحبّاتِ القلوبِ مرصَّعُ[٢٠]

فلما انعدم الرجال الذين يقتدى بهم، وغابت عن الساحة الفعال التي يقوم بها الأفذاذ كنت الأوحد في عصرك، والأبرز، تعلقت بك الآمال، كما تعلقت بك الأفئدة، فكأنك في ذلك تاج ملك، لم يُرصَّع بالجواهر والأحجار الكريمة، فشبَّه الشاعر الممدوح بالتاج الذي تزين به جبين العصور، ثم زاد في قيمته بأن جعله مرصَّعًا بأفئدة الناس، وهو بذلك يؤكد أن تربعه على هذا العرش مستمد من رغبة الناس ورؤيتهم، لا من غير ذلك، كالمال أو سواه، وهنا يتجلى المعنى الذي يترتب على التشبيه والتفصيلات التي تؤخذ من محيطه، وهو ما يمثل ظل المعنى المقدَّم.

ومن التشبيهات أيضًا قوله:

وَمَاءُ العيون كماء العيون يَسيلُ من العاشق الصَّابر[٢١]

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الخامس والعشرون– ايلول ٢٠٢٣–صفر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

يصور الشاعر في هذا البيت دموع العاشقين وغزارتها في حالات الجفوة والبعد والتنافر، غير أن التشبيه استند إلى الجناس والكناية في الوصول إلى ما ندعوه بظلال المعنى، فالمتبادر إلى الذهن عند سماع البيت تشبيه الدموع بينابيع الماء في الغزارة، غير ان الأمور تدعو إلى التعمق في ظلال هذا المعنى استنادًا إلى الكناي والجناس الواردين غلى جانب التشبيه، فالشاعر لم يدعُ الدموع باسمها، بل ألمح إليها بقوله (ماء العيون)، وفي هذه الكناية ترفع عن ذكر الدمع باسمه الصريح، لزيادة ربطه بالحسرة والفقد الحاصلين من الفراق، فكأن ما يسيل هو ماء العين حقيقة الذي تعمى العين بدونه، ثمَّ عضد ذلك حين شبهه في غزارته بنبع الماء، غير أنه سماها بـ(ماء العيون) أيضًا، فربط بين الطرفين برباط عجيب، وهو أن الطرفين لهما الاسم نفسه، فيوحي ذلك بأن الحال واحدة، وفي ذلك من المبالغة ما فيه.

ومن ذلك ما صوره الشاعر من تبرُّج الشمس وهدير الشعوب، فقال:

حَتَّى إذا زالَ الظَّلامُ ... وودَّعَ النَّاسُ الهزيعْ
وتَبَرَّجَتْ شمسُ التَّحرُّرِ ... كالعروس معَ الرَّبيعْ
هَاجَتْ جموعُ الشَّعبِ ... تهدرُ مثلَ إعصارٍ مريعْ[٢٢]

يبين الشاعر هنا ما كان من أمر الشعوب في مواجهة الظلم والاستبداد، وكيف تجلت لهم الحقائق، وغادرهم الوهم والتعلُّل بالآمال، حتى رأوا التحرر شمسًا تُطلب ويُسعى إليها كعروس حسناء قد اتخذت زينتها، فكانت دافعًا للهياج والثورة والتمرد والوقوف صارخةً بأعلى صوتها، وكأنها إعصار مخيف؛ وقد ظهرت التشبيهات في هذه الأبيات في بيتين، الثاني، وفيه شبه التحرر بشمس، في إضافة المشبه به إلى المشبه، ثم شبه شمس التحرر بالعروس، وعاد في البيت الثالث ليشبه هدير جموع الشعب بهدير الإعصار القوي.

ويتجلى ظل هذه المعاني في أمور عدة، أولها في جعل التحرر شمسًا بواسطة التشبيه البليغ الإضافي، ويكون بإضافة المشبه به إلى المشبه، وهو ما يزيد من الترابط بين الطرفين، حتى كأنهما شيء واحد، فجازت إضافة أحدهما إلى الآخر، ثم جعل هذه الشمس التي هي مشبه به أصلًا جعلها مشبَّهًا، وشبهها بالعروس المتبرِّجة، والمقصد من هذين التشبيهين – الشمس والعروس – أنهما جليتان واضحتان لا يتوه طالبهما، ولا تخفيان على أحد، فضلًا عن مكانتهما الرفيعة، ثم عاد في البيت الثالث وشبه هدير الجموع بالإعصار الجارف، في الصوت، وهو ما يستتبع القوة والعنف وعدم التمييز، وتغيير المنطقة التي يمر بها، فيقلبها رأسًا على عقب، حتى كأنها شيء آخر لم يكن قبلًا، وهو ما يريد الشاعر إيصاله، إعصار يغير وجه المنطقة، فالمحتل يصبح مرحرًا والجهل يصبح علمًا والتخلف يصبح تطورًا.

٢- الاستعارة

وهي تلي التشبيه من حيث الكثافة العددية، إلا أن شواهدها تبقى أبعد أثرًا في المتلقي، وأعمق في تحريك مشاعره، بسبب حذف أحد طرفي التشبيه، والتصريح بالمشبه به أو التكنية عنه، وهو ما خلق نوعًا من الاتحاد بين الطرفين، ومن ذلك قوله:

ذِكْرى بها تَحْيَا القلوبُ ويَبْجَلي ... عَنْها الصَّدَا وقيودُها تَتَكسَّرُ[٢٣]

فقد جعل هذه الذكرى سببًا لحياة القلوب التي ما وجدت نضارتها وحريتها إلا بها، فكأنها كانت مزيلًا للصدأ الذي علق بها، ومحطمًا للقيود التي كُبِّلت بها؛ وقد استعار الشاعر للقلوب الشيء المادي المحسوس الذي يصدأ ويُكبَّل، فالقلب لا يصدأ، ولا يقيَّد، وإنَّما استعار الشاعر هذا الأمر ليبيِّن مدى القسوة التي اعترتهم قبل حلول هذه الذكرى.

ومن هذه الاستعارات في ديوانه قوله في الأمة العربية حين تخاذلت:

وتُريهمُ مِنْ بَنِيها غَنَمًا ... تَمْلأُ الوَادِي عَجَاجًا وبُغامًا[٢٤]

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الخامس والعشرون– ايلول ٢٠٢٣–صفر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

فليس أبناء هذه الأمة إلا كالغنم التي نزلت بوادٍ فلم يكن منها إلا أن ثورت التراب وملأت الوادي بصوتها، على غير نفع أو فائدة، وقد استعمل الشاعر في هذا البيت الاستعارة التصريحية حتى يحدث الأثر المطلوب في قلب المتلقي، وكان هذا بفض الاستعارة الواضحة في قوه (غنمًا)، فالشاعر ترك الحديث عن أبناء الأمة العربية ليصرح بالمشبه به، وهو (غنمًا)، ورشَّح هذه الاستعارة بقوله إنها تملأ الوادي عجاجًا وبغامًا، ليزيد من قربهم من هذه الأغنام في الطباع والتصرفات، مشيرًا بذلك إلى معاني أبعد وأعمق، تتمثل في الإشارة إلى فقد العقل والتمييز وعدم القدرة على اتخاذ القرار الأنفع لهم، ومعنى ثان هو الضعف المتمثل في الانقياد لأي جهة، كما هو حال الغنم مع راعيها، والأمر الآخر هو الكثرة في غير نفع، وهذا التفصيل مستفاد من قوله (تملأ الوادي عجاجًا وبغامًا)، فليس منها إلا الجلبة وإثارة التراب، وهو يذكرنا بحديث النبي عن كثرة المسلمين التي كغثاء السيل، وأنها كثرة في غير نفع أو أثر.

ومن هذه الاستعارات أيضًا ما قاله في الفتن:

فِتَنٌ أَشَدُّ مِن الظَّلامِ سَوادُها  تَدَعُ الحَلِيمَ بِأَمْرِهِ مُتَحيِّرَا[٢٥]

فهذه الفتن عظيمة، يتحير فيها العاقل فلا يكاد يبين الحق، وكأنه في ظلام حالك لا يهتدي سبيلًا؛ وتظهر الاستعارة في وصف الفتن بأنها أشد من الظلام في السواد، والفتن شيء معنوي لا لون له، ولا يوصف بصفات المحسوس، غير أنها لما كانت شديدة وعظيمة، وتركت العقول حائرة لا تهتدي الصواب كان وصفها بالسواد الذي هو أشد من الظلام في هذا البيت مما يدعم هذه الفكرة.

٣- الكناية

ولا تحوز الكناية ما تحوزه الاستعارة من الشواهد، غير أن فيها تلك الإشارة إلى المعنى من بعيد، فلا يتوصل إليه إلا بعد مشقة وجهد، بوسائط تقدم لك المعنى، مع ما ينال المتلقي من لذة عظيمة في اكتشاف المعنى المقصود، ومن ذلك قوله:

وَأَنَّهُ مَكْلُومٍ عَلَيها مِنَ الأَسَى  غَلَائِلُ بُؤْسٍ لَيْسَ يَبْلى جَدِيدُها[٢٦]

ففي قلب المجروح من الحزن ما لا يخلق ولا يبلى، فهو رفيقه وملازمه، يتجدد ولا يُنسى، وكنَّى الشاعر عن صفة الدوام والاستمرار بقوله (ليس يبلى جديدها)، وتفيد الكناية - فضلًا عن الدوام والاستمرار – التجدد، فلا تترك فسحة لاعتياد الحزن والتعايش معه، وكأنه حزن جديد، أو كأنه ما مرَّ بالشاعر قبلًا، فهو يراه كل يوم كأنه يراه أول مرة.

ومثل ذلك قول الأعظمي في الحديث عن الدين:

سَتَموتُ كُلُّ مَبَادِئِ الدُّنْيَا وَلَو  كَثُرَتْ وَيَبْقَى الدِّينُ فِينَا أَخْضَرَا[٢٧]

فكل ما في الحياة من سنن وقوانين وشرائع ومذاهب وأخلاقيات إنما هي مستمدة من الدين أصلًا، وهي إلى فناء لا شك، ويبقى القانون الأهم والأشمل وهو الدين، فلا يزول لأنه يتسع لكل تفصيل، وقد كنى الشاعر عن هذا البقاء وهذه الديمومة بقوله (ويبقى الدين فينا أخضرا)، فللون الأخضر دلالة على الاستمرار، وهي مأخوذة من اخضرار النبت، فهو دليل على أنه ما يزال حيًّا، وفقدان هذا اللون فيه دليل على موته.

وقد يوجَّه الشاهد على أنه استعارة، على اعتبار أن الدين شيء معنوي غير محسوس، واللون من صفات الأجساد المحسوسة، فاستعار الشاعر للدين الشيء المحسوس، ثم حذفه وكنى عنه باللون، وفي الحالين إشارة إلى هذه المادية في الدين، وكأنه شيء مشاهد محسوس يجب القبض عليه، والتمسك به وعدم إفلاته.

ثانيًا: علم المعاني

يُعدُّ علم المعاني وجهًا آخر لعلم الأسلوب الذي يقوم على دراسة السنن المعروف في نظم الكلام، وما يعترضه من تغيير، ليحمل الاهتمام بجزء من الكلام على حساب آخر، وفي الالتزام أو عدمه ظلالًا

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الخامس والعشرون– ايلول ٢٠٢٣–صفر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

للمعنى تستفاد من المقام الذي قيلت فيه، ومن التغيير الذي أحدثه المتكلم في بنية الكلام، وسنقتصر على شواهد محدودة لنوضح هذه الفكرة التي بدت واضحة جدًّا في ديوان الأعظمي، ولا سيما فيما يخص التقديم والتأخير.

ومن هذه الشواهد قوله:

أَخَافُ يَوْمًا بِهِ الأَبْصَارُ شَاخِصَةٌ  خَوْفَ الفَضيحَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّدَمِ[٢٨]

ومعنى البيت واضح في بيان خوف الشاعر من يوم القيامة، وما فيه من عرض للأعمال، وفضح للمخفيات، وما يستتبعه من ندم، وتبدو بعض اللمحات المعنوية في هذا البيت التي تعضد المعنى، منها:

- تنكير (يومًا): وهو دليل عظمة هذا اليوم وجلاله، وهو أحد المعاني التي يدل عليها تنكير المفردة، فهذا اليوم هو يوم القيامة، ولا يُحتاج بعدها إلى تفصيل القول في ذلك، فهو أمر معروف لا ينكره عاقل.

- تقديم الجار والمجرور (به): وهذه إشارة لطيفة إلى عظمة هذا اليوم، فضلًا عن ذكره منكرًا، إذ كان الأجدر أن يقال (الأبصار شاخصة به)، لكنه عدل عن ذلك ليوحي بجلال هذا اليوم، وأنه أهم من شخوص الأبصار، وشحوب الوجوه، بل إن تقديم الحديث عن اليوم يدعو إلى عدم استغراب ما يليه.

- تعريف (الأبصار): يوحي تعريف هذه الكلمة باستغراق جميع مَن حضر هذا اليوم، وأن كل من له عينان فهما شاخصتان، فلا يستثنى من ذلك أحد، لهول ما يرى، وهو المعنى الذي أفاده تعريف الأبصار.

- تعريف (الفضيحة): وهو تعريف يشعر بمعرفة الشاعر والملك لهذه الفضيحة، فكأنها معهود ذهني بينهما، أي كأنه قال (خوف فضيحتي)، وفي هذا تسويغ لما كان من أمر شخوص الأبصار والخوف الحاص من هذا اليوم.

- الفصل بين المتعاطفين بشبه الجملة (عند الله): وشبه الجملة هذه مرتبطة بالفضيحة التي قبلها، فالشاعر على يقين من فضيحته، لكنه يخشاها لأنها أمام الله، أما المنعم المتفضل عليه، ولا يضره إن رآها العبد واطلع عليها.

- تأخير (الندم): وهو مرتبط بالفصل بينه وبين (الفضيحة)، فالندم سيكون على ما كان من فضيحة أمام الله فقط، لذا أخر الشاعر الندم لأنه لاحق للفضيحة أمام الله، وكأنه ما كان ليكون لولا أن الله فضحه بين يديه.

ومن هذه اللطائف ما كان في قوله فيما يشبه الحكمة:

وَلَيْسَ تَنْفَعُ مَظْلُومًا شِكَايَتُهُ  إِنْ لَمْ يُجَالِدْ بِسَيفٍ صَارِمٍ خَذِمِ[٢٩]

وفي هذا البيت دقائق عدة، منها:

- مجيء (ليس) حرف نفي وفقدانه خاصية النسخ: فـ(ليس) هنا ليس فعلًا ناسخًا، بل حرف نفي لا محل له من الإعراب، وفي هذا زيادة تأكيد للنفي الحاصل في المعنى، وهو نفي نفع الشكاية المظلوم.

- تقديم (مظلومًا) وتنكيره: فالتقديم هنا دليل الاعتناء والأهمية، ولفت للمخاطب إلى ضرورة التنبُّه، أما التنكير فهو لبيان أن أيَّ مظلوم ينطبق عليه الكلام الآتي، فهي حقيقة ثابتة لا شك فيها.

- تأخير (شكايته): جاء هذا التأخير دعمًا لمعنى البيت، وهو أن الشكاية حيلة العاجز، وسلاح الضعيف، وملجأ الخائف، لذا كان التأخير أولى بها، وفي هذا تلميح للمخاطب كي تكون آخر حلوله.

- استخدام الشرط المسبوق بما يشبه الجواب: جاء الشاعر في الشطر الثاني بالشرط المسبوق بما يشبه الجواب، فالشرط (إن لم يجالد بسيف) جوابه (ليس تنفعه مظلومًا شكايته)، وفي هذا شبه تكرار للجواب، لأنه يقال في الحديث عن جواب الشرط إنه محذوف دل عليه الكلام السابق، ويقدرونه تقديرًا مماثلًا للكلام السابق، وكأنه في ذلك مكرر مرتين، ويحمل هذا تأكيدًا للفكرة عينها، وهي عد نفع الشكاية.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الخامس والعشرون– ايلول ٢٠٢٣–صفر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

- نسب الفعل لضمير الغائب (هو): وفي هذا إشارة إلى أن الأحق بالدفاع عن نفسه هو المظلوم عينه، ولا أحد سواه، فلا يرد الحق جار ولا صديق ولا قريب، بل عن الأولى بحمل السيف هو المظلوم لا غير.
- بسيف صارم خذم: عدد الشاعر صفات السيف بما يوحي بضرورة أن يكون حادًّا قاطعًا، فلا نفع للقوة إن لم تكن رادعة، وتمنع الظالم من ظلمه، وتزجره عن التعدي وتكرار الظلم مرة أخرى.

ومن هذا الباب أيضًا قوله في حاله وحال الأمة:

مَا أَنَا المَأسُورُ لكِنْ أُمَّةٌ  لَمْ تَكُنْ عَمْيَاءَ لَكِنْ تَتَعَامَى[٣٠]

فالذي أدى بالأمة إلى هذه الحال أنها كلها مرتهنة للآخر، فلا حيلة للفرد (الشاعر) تجاه هذا شيء، وهو يقدم العذر في أن الأسر لم يحط بالشاعر وحده لكن بالأمة جمعاء؛ وقد استعمل الشاعر أسلوب القصر المكون من النفي و(لكن)، في موضعين، وفي كليهما يرى الشاعر الأمة ملومة بقدر ما هو ملوم على ما كان من وضع مزرٍ تعيشه، ففي الموضع الأول للقصر نفى الشاعر عن نفسه أن يكون ملومًا وحده في وصول الأمة إلى هذه الحال، ليعود بعدها إلى لوم الأمة التي لم تكن عمياء أبدًا، لكنها كانت تتعامى، فقد كانت الأمور واضحة، والحقائق مجلوَّة، والمؤامرات على العلن، لكن الأمة برغم هذا كله غضت طرفها وصرفت نظرها متعامية ومتجاهلة ما هو مفضوح ظاهر، فكيف يُلام الشاعر وحده، وكيف لا تلام وحدها.

استعمل الشاعر أسلوب القصر مرتين في سبيل توضيح هذه الحقيقة، وهو ما خلق المعنى الذي يطمح الشاعر إلى إيصاله.

**خاتمة**

بينت الصفحات السابقة ظلال المعاني المأخوذة من شعر وليد الأعظمي، والتي يمكن بعد دراستها تقديم مجموعة من النتائج أبرزها:

- تجاوزت ظلال المعنى الدلالة الحرفية غلى الدلالة المجازية، عابرة حدود التفسير والتأويل، وتجلت بتقسيمات البيان المعروفة من استعارة وكناية وتشبيه، فضلًا عن التلاعب مراتب الألفاظ في الجملة، كالتقديم والتأخير.
- أسهمت العلاقات تحت مفهوم ظلال المعنى في استنطاق النصوص وعملت على جمع أطرافها وربطها برباط واحد.
- أكثر الشاعر في تغليفه معانيه من استعمال التشبيه، تليه الاستعارة فالكناية، وما سوى ذلك مما يتعلق بعلم المعاني فهو كثير ولا سبيل لحصره.
- أظهرت الشواهد التزام الشاعر بقضايا شعبه ووطنه، فضلًا عن الالتزام بقضايا الدين.
- اختزنت الصور البيانية المختلفة ظلالًا عميقة مثل المرامي والأهداف السامية التي يريد الشاعر إيصالها.
- كانت المعاني المتخفية تتأرجح بين الصعبة المنال والممكنة، وذلك لما يقوم عليه الشعر عادة؛ فهو لا يجيء على وجهة واحدة أبدًا.

**المصادر والمراجع**

- القرآن الكريم
- الأعظمي، وليد، (٢٠٠٥م). ديوان وليد الأعظمي الأعمال الشعرية الكاملة، تقديم المستشار: عبد الله العقيل، ط٤، دمشق، دار القلم.
- أنيس، إبراهيم، (١٩٧٦م). دلالة الألفاظ، ط٣، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية.
- أولمان، ستيفن، (١٩٨٦م)، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: د. كمال بشير، ط١٠، مكتبة الشباب.

ISSN-2536-0027

- التهانوي، محمد علي، (١٩٩٦م). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم: د. رفيق العجم وآخرون، ط١، بيروت، مكتبة لبنان الناشرون.
- جلاوجي، عز الدين، (٢٠٠٧م). المسرحي في الادب الجزائر، وزارة الثقافة عاصمة الثقافة العربية، الجزائر.
- جهلان، محمد بن احمد، (٢٠١٤م). فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، مؤسسة عبد الحميد شومان.
- حسان، تمام، (١٩٩٤م). اللغة العربية معناها ومبناها، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- الحنبلي، الحافظ زين الدين أبي الفرج ابن رجب، (٢٠١١م). فتح الباري في شرح صحيح البخاري، عدد المجلدات: ١٠. مصر: الدار البيضاء.
- حنورة، مصري، (٢٠٠٦م). علم نفس الأدب، ط١. القاهرة: دار غريب.
- سنجلاوي، إبراهيم، (ب. ت). موقف النقاد العرب من الغموض (دراسة مقارنة)، مجلة عالم الفكر، أكتوبر ـــــــ نوفمبر، ديسمبر ٧٨٩١، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- العشماوي، محمد زكي، (١٩٨٣م). دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، بيروت: دار النهضة العربية.
- عمر، أحمد مختار، (٢٠٠٨م). معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب.
- قطب، سيد، (١٩٨٣م). النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ط١، القاهرة، دار الشروق.
- لاينز، جون، (١٩٨٧م). اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: د. عباس صادق، بغداد: دار الشؤون الثقافية.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (٢٠١١م). لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

---

[١] - أنيس، ١٩٧٦، ص ٢١٣.
[٢] - لايونز، ٢٠٠٩، ص٣٥.
[٣] - أولمان، ١٩٨٦، ص٦٢.
[٤] - عمر، ٢٠٠٨، ص٣٧.
[٥] - أنيس، ١٩٧٦، ص: ١٠٧.
[٦] - حسان، ١٩٩٤، ص ٣٣٧.
[٧] - ابن منظور ، ٢٠٠٣، ج٧ ص ٩٩١.
[٨] - سنجلاوي، ٢٠٠٥، ص ٥٠٢.
[٩] - سنجلاوي، ٢٠٠٥، ص ٥٠.
[١٠] - جهلان، ٢٠١٤، ص ١٢٠.
[١١] - ابن منظور ، ٢٠٠٣، ج٥ ص ٥١٣.
[١٢] - الحنبلي، ٢٠٠٨، الرقم ٦٦٠.
[١٣] - قطب، ١٩٨٣،ص ٧٠.
[١٤] - ابن منظور ، ٢٠٠٣، ج ٥ ص٥١٣.
[١٥] - قطب، ١٩٨٣،ص ٧٦.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الخامس والعشرون– ايلول ٢٠٢٣–صفر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

[١٦] - حنورة ، ٢٠٠٦، ص ٤٥.

[١٧] - العشماوي، ١٩٨٣، ص ٦٥.

[١٨] - جلاوجي، ٢٠٠٧، ص٤٥.
[١٩] - التهانوي، ١٩٩٦، ص٤٦.
[٢٠] - الأعظمي، ٢٠٠٥، ص ٢٧.
[٢١] - الأعظمي، ٢٠٠٥، ص ٣٣.
[٢٢] - الأعظمي، ٢٠٠٥، ص ٣٥.
[٢٣] - الأعظمي، ٢٠٠٥، ص ٢٧٦.
[٢٤] - الأعظمي، ٢٠٠٥، ص ٣٠٠.
[٢٥] - الأعظمي، ٢٠٠٥، ص ٢٤٥.
[٢٦] - الأعظمي، ٢٠٠٥، ص ٣٠.
[٢٧] - الأعظمي، ٢٠٠٥، ص ٢٤٤.
[٢٨] - الأعظمي، ٢٠٠٥، ص ١٦٠.
[٢٩] - الأعظمي، ٢٠٠٥، ص ١٦٠.
[٣٠] - الأعظمي، ٢٠٠٥، ص ٢٩٩.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية
CAMBRIDGE SCINTIFIC JOURNAL